الباب الرابع

امبراطورية مالى

أما ملى فإقليم كبير واسع جداً ، فى المغرب الأقصى إلى جهة البحر المحيط ، وقيمغ هذا الذى بدأ السلطنة فى تلك الجهة ودار إمارته غانة ، وهى مدينة عظيمة فى أرض باغن . قيل : إن سلطنتهم كانت قبل البعثة فتملّك حينئذ اثنان وعشرون ملكاً، وبعد البعثة اثنان وعشرون ملكاً ، وعدد ملوكهم أربعة وأربعون ملكاً ، وهم بيضان [١] فى الأصل ، ولكن ما نعلم من ينتمى إليه فى الأصل ، وخدامهم عكريون.

فلما انقرضتْ دولتهم فخلفها فى السلطنة أهل ملى وهم سودان فى الأصل فوسعت سلطنتهم كثيراً ، فملكوا إلى حد أرض جنى وفيها كل وبندك وسبردك فى كل من الثلاثة اثنا عشرة سلطاناً . أما سلاطين كُلّ فمنهم ثمانية كلهم فى جزيرته أولهم فى حد أرض جنى متجاور بها وهو ورن كى ثم وزكى ثم كمى كى ثم فدك كى بالدال الساكنة . ويُقال بالراء ، ثم كرك كى ثم كو كى ثم فرما كى ثم زن كى ، هؤلاء ثمانية .

وأما الأربعة فهم على وراء البحر [٢] من جهة الشمال ، أولهم كوكر كى وهو فى حد أرض زاغ من جهة المغرب ، ثم يار كى ثم سن كى ثم سام كى ، ويقال له : سنبنب . وفال فرن هو رئيسهم وهو الذى يتقدمهم عند سلطان ملى إذا اجتمعوا ويشاوره عنهم .

وأما سلاطين بندك فكلهم وراء البحر من جهة اليمين أولهم فى حدِّ أرض جنى أيضاً متجاورين بها ، وهو كو كى ، ثم كعن كى ، ثم سم كى ، ثم تر كى ، ثم داع كى ، ثم ام كى ، ثم تعب كى . ونسيت الخامسة .

وأما سلاطين سبردك فهم وراء هؤلاء متجاورون إلى جهة مالى وملك سغى وتنبكت [٣] وزاغ وميمه وباغن وما في أحوازها إلى البحر المالح [٤] فكان أهلها فى قوة

---

(١) بيضان : بيض البشرة .

(٢) البحر : المقصود به نهر النيجر .

(٣) تنبكت : مدينة هامة فى غرب إفريقيا كانت مركزًا تجارياً وعلمياً من أهم معالمها مسجد سنكرى .

(٤) البحر المالح : هو المحيط الأطلنطى .

عظيمة وبَطشة كبيرة والتى جاوزتْ الحدَّ والغاية ، وله قائدان أحدهما صاحب اليمين يُسمى سنفرزومع ، والآخر صاحب الشمال يسمى فرن سرا ، وتحت يد كل واحد منهم كذا وكذا من القياد والجيش حتى أورث ذلك الطغيان والتجبُّر والتعدية فى أواخر دولتهم فأهلكهم الله تعالى بعذاب من عنده فظهر لهم فى يوم واحد فى دار سلطانهم جند الله تعالى فى صورة الأطفال الآدميين ، فأعملوا فيهم السيوف حتى كادوا أنْ يُفنُوهم .

ثم غابوا فى ساعة واحدة بقدرة العزيز المقتدر ، ولا يدرى أحد من أين جاؤوا وإلى أين ذهبوا ، فمن يومئذ دخل فيهم الضعف والوهن إلى دولة أمير المؤمنين اسكيا الحاج محمد ، فواصلهم هو وأولاده بعده بالغزو حتى لم يبقَ فيهم مَنْ يرفع رأسه وتفرَّقوا ثلاث فرق ، كل واحد فى طرف الأرض بطائفته يزعم أنه سلطان ، وخاف عليهم القائدان .

فاستقل كلُّ واحد منهما بنفسه فى أرضه وفى قوتهم أيام دولتهم الغالبة راموا أنْ يدخل أهل جنى فى طاعتهم فلم يقبلوا ذلك ، فصار أهل ملى يغزوهم بغزوات كثيرات ومعارك هائلات شديدات معدودات إلى تسع وتسعين مرة ، وكل ذلك يغلبهم أهل جنى ، وذكر فى الأخبار أنه ولا تكمل مائة بينهما فى آخر الدهر ، وأن أهل جنى هم الغالبون أيضاً يومئذ .